بسم الله الرحمن الرحيم



عَنْ سيدنا وإمامنا صادق العترة الطاهرة عليه السلام قَالَ : (إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ الْفَقِيهُ ثُلِمَ فِي الإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ) .

لقد أدركتُ قبل ثلاثة وثلاثين عاماً تقريباً العصرَ الذهبي -في الخمسين سنة الأخيرة- للحوزة العلمية في قم المشّرفة، وكان فيه شيخنا الراحل ، شيخ القداسة والفقاهة والولاء ، المرجع الديني الكبير ، آية الله العظمى ، الشيخ الوحيد الخراساني - إلى جانب الفقيه الكبير ، سماحة آية الله العظمى ، الشيخ الميرزا جواد التبريزي "قدهما" - قطب رحى الحوزة ، وربّان سفينتها ، وزعيمها الفذّ ، فكانت الحوزة تدور مدار دروسه الشريفة ، فمتى ما بدأ بدأت ومتى ما توقف توقفت ، وكان أساتذتنا - الذين تفضّلوا بتعليمنا في مرحلة السطح - جلّهم - وربّما كلّهم - من تلامذته .

ثمّ لما تشرفتُ بالحضور بعض الوقت في بحثه الشريف وجدتُ ثلّة من وجوه الحوزة وأعلامها ومبرّزي أساتذتها يجثون بركبهم بين يدي منبره الشريف ، وينهلون من علومه الثّرة .

ولم يكن بحثه الشريف ميدان تحقيق وتدقيق وصقل للملكات العلمية فحسب ، بل كان نهراً كبيراً يصبُّ في جداول خمسة مترعة :

١ . **الجدول الأول : العلم** ، فكان يخوض بطلبته لجج مطالب أساطين العلم - كالحائري والنائيني والعراقي والإصفهاني والخوئي وغيرهم "قُدّست أسرارهم" - فلا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أشبعها تدقيقاً وتحقيقاً ، وحسبك دليلاً على جهوده التعليمية كثرة مَن تخرجوا على يديه من العلماء والمجتهدين والفضلاء والمحصّلين .

٢ . **الجدول الثاني : الولاء** ، فقد كان لا يشرع في بحثه الشريف في بداية صباح كل يوم إلا بعد أن يقرأ أحد طلبته بصوت شجيٍّ مؤثر الدعاء المأثور : (اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلايَ صاحِبَ الزَّمانِ "صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ") فيجدد مع طلابه العهد لصاحب العصر والزمان عليه السلام صبيحة كل يوم ، ليكون الطلّاب على صلة مستمرة وراسخة مع إمام زمانهم؛ إذ إنهم يقتاتون من موائده ، ويعيشون في ظلّ نعمته ، فينبغي أن يكونوا على عظيم الصلة به .

@aldiaa1
شبكة الضياء

ومتى ما اقتربت مناسبة من مناسبات المعصومين ﷺ خصّص اليوم الذي قبلها للحديث عن ذلك المعصوم ﷺ ، فيفض من المعارف ما ينفذ إلى أعماق القلوب وتنصهر به الأرواح ، وإذا كانت المناسبة مناسبة حداد كان لا ينتهي من كلامه إلا وقد ترك المسجد الأعظم يموج من الحزن والأسى كما تموج السفينة .

٣ . **الجدول الثالث : العقيدة** ، فمتى ما دهمت المذهب الشريف دهمة ، كان يجلوها بعلمه الزاخر وبيانه الساحر ، وإن تطلّب الموقف أكثر من ذلك فبجرأته المهيبة وكلماته الشجاعة ومواقفه الصلبة فكان بحق قلعة حصينة للدين والمذهب.

٤ . **الجدول الرابع : الأخلاق** ، فقد كان منبره الشريف سخيًا بالنصائح والإرشادات والتوجيهات ، بأساليب تربوية مختلفة ، ولذا كان ينكسرُ عند منبره الشريف الغرور العلمي ، وتنمو روح التواضع ، ويتوقد الإخلاص ، ويشتد أدب التعامل مع كلمات الأعلام ومطالب الفحول ، وتمتد الأعناق إلى سيرة السلف الصالح وما كانوا عليه من الجلال والعظمة.

٥ . **الجدول الخامس :** التبليغ ، فطالما كان يركّز في بحثه الشريف على هذه القضيّة ، وكأنها قضيته الأولى والأخيرة ، ويحث ويشجّع عليها ، ويستشهد بالآيات والروايات الشريفة التي تناولتها ، ويدفع بطلبته إلى أن يكونوا مبلغيّن للدين الشريف ومدافعين عنه ، لا سيما في مواسم وأيام تعطيل الحوزات العلمية الشريفة .

ومن هنا لم يكن منبر درس الشيخ الوحيد منبرًا علميًا محضًا ، بل كان منبرًا مميّزًا في تنوّع عطائه ، وعظيم آثاره ، فقد تجاوزت آثاره حدود المسجد الأعظم - المكان المقدّس الذي كان يلقي فيه أبحاثه الشريفة - لتمتد إلى أصقاع العالم الشيعي كلّه ، وهذا ما يجعل الخسارة بفقده خسارة كبرى لا تعوّض ، وثلمة عظيمة لا تُسدّ ، لا سيّما والمرحلة حرجة والظرف حالك ، فالعزاء لإمام زماننا "أرواحنا فداه" ولبقية السلف من مراجعنا ، ولجميع حوزاتنا ، ولولديه العالمين الجليلين ، وسائر تلامذته وأفراد أسرته ، وكافة محبيه ومقلديه ، وإنّا لله وإنا إليه راجعون .

ضياء الخباز

ليلة الأربعاء ٧ / جمادى الآخرة / ١٤٤٨ هـ